

ظاهرة التدخين من منظور صحي بيئي، وشرعي قانوني

د. علاق عبد القادر - المركز الجامعي تيسمسيلت

مقدمة:

إنّ التدخين (Tabagisme) من العادات السيئة اللصيقة بالإنسان، فقد انتشرت بكثرة بين الفئات الاجتماعية بمختلف الأعمار، وأصبحت مُشكلة عويصة تُواجه صحة البشرية في كل أرجاء المعمورة، كما أنه ظاهرة خطيرة يمتد خطرها ليشمل الجانب الصحي، والبيئي، والاقتصادي، إذ أنّ أثره لا يقتصر على الشخص المدخن فقط؛ بل يتعداه إلى غير المدخنين، فهو يتسبب في أمراض مزمنة خطيرة، وعاهات وتشوهات، وتعطيل أحمزة عضوية، ويفتك بحياة الملايين من البشر سنويا.

وفي ظل انتشار هذه الظاهرة وتفاقم انعكاساتها الخطيرة على البيئة وصحة الفرد والمجتمع؛ تدخلت السلطة العامة بفرض قواعد تشريعية تمنع التدخين جزئياً؛ بحظر تعاطيه في بعض الأماكن العمومية تماشياً مع التوجّه العالمي نحو مكافحة التبغ (Tabac) والتصدي لهذه الآفة الفتاكة.

وقد انقسم الأفراد في مختلف المجتمعات بين مؤيد ومعارض لهذا المنع، فالمتعاطين للتبغ يرون أن هذا المنع تدخل سافر في حق الخصوصية والحرية الشخصية، بينما يرى الممتنعون عن التدخين أنه خرق صارخ لحقهم ومساس مباشر ببيتهم وصحتهم.

بعيدا عن هذا الجدل، وللإحاطة بجوهر هذه المشكلة ومعاينة مخاطرها ذات البعد الإيكولوجي، والصحي، وجب علينا بداية تحديد مفهوم التدخين وإبراز آثاره السلبية المختلفة (المبحث الأول)، ثم تحديد موقف الشريعة الإسلامية إزاءه ودور القوانين الوضعية في الحد منه (المبحث الثاني).

المبحث الأول: مفهوم التدخين وآثاره السلبية

نحاول في هذا المبحث تحديد مفهوم التدخين، ثم إبراز مختلف آثاره السلبية من خلال مطلبين

اثنين.

المطلب الأول: تعريف التدخين وأنواعه.

لتعريف التدخين يجب علينا تحديد معناه وتاريخ بداية ممارسته، ثم عرض أنواعه في فرعين

اثنين.

الفرع الأول: معنى التدخين وبداية ممارسته.

التدخين لغة مصدر للفعل دَخَنَ يُدَخِّنُ، ومنه جاء الدخان الذي يسمى التبغ أو التّبناك، ودخان النار معروف؛ إذ أن جمعه أَدْخَنَةٌ ودواخن ودواخين، ويقال: دَخَنَ الدخان، دخونا إذا سَطَعَ، ودَخَنَتِ النار، أي سَطَعَ وارتفع دخانها⁽¹⁾. ويُطلق المحدثون الدخان على التبغ، فدَخَنَ بالتشديد دلالة على الاحتراق وهو من قبيل التعبير المجاز المرسل⁽²⁾.

والدخان أو التبغ مأخوذ من لفظ تاباغو (Tabbago) ذو الأصل الإسباني، وهو اسم جزيرة في خليج المكسيك ونُقل منها إلى إسبانيا مع الاكتشاف الأوربي للأمريكتين، والتبغ نوع من النباتات الأمريكية يحتوي على مادة سامة، فلما يدخن المدخن فإنه يمتص ويجذب أنفاس ودخان لُغافة هذه المادة باستعمال ووضع السجارة بين شفتيه وشعلها، فيصاحب ذلك خروج دخان أبيض من فمه وأنفه عن طريق الاستنشاق إلى رئتي الإنسان، وقد يكون تعاطي التبغ عن طريق المضغ أو المص... الخ. ويشير البعض إلى أن الإنسان بدأ ممارسة عادة التدخين خلال القرن الخامس عشر- وتحديدًا سنة 1492 لما لاحظ كريستوف كولومبس (Christophe Colombos) مكتشف أمريكا أن بعض سكان مدينة سان سالفا دور (Sain Salvador) يدخنون التبغ. وقد انتقلت هذه العادة من المكسيك إلى المكتشفين الإسبان الذين نقلوها بدورهم إلى إسبانيا عن طريق نقل أوراق وبذور التبغ في العديد من الرحلات⁽³⁾.

ويُشير البعض الآخر؛ إلى أن أول من دَخَنُوا التبغ في العالم هم بعض القبائل من السكان الأصليين لأمريكا الشمالية؛ حيث كانوا يستعملونه وفق طرق مختلفة، وفي سنة 1560 كانت ملكة فرنسا تعاني من صداع شديد فحمل إليها سفيرها في إسبانيا (جان نيكوت) مسحوق أوراق التبغ ونصحها باستعماله، ومن هنا جاءت تسمية المادة السامة في التبغ بالنيكوتين نسبة إلى هذا السفير، فكانت هذه الحادثة سببًا في دخول التبغ إلى فرنسا وارتفاع شأنه في أوروبا كلها وارتفاع أسعاره، نتيجة لانتشار استعماله بين الفرنسيين وكامل أوروبا، ومنها انتقل إلى إفريقيا وآسيا وروسيا واليابان⁽⁴⁾.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط. 01، (بدون ذكر سنة النشر)، ج. 13، ص. 149.

² - أحمد شفيق الخطيب، ما معنى (الدخان) و(دخن) في استعمال المحدثين؟ مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.wata.cc.com> الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب World Association of Arab translators and Linguists، مؤرخ في: 2007/5/05، ملحوظ ومقروء بتاريخ: 2012/09/18، ص. 02.

³ - فؤاد الفاطمي، التدخين، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.swmsa.net مؤرخ في 2010/04/27، ص. 01، ملحوظ ومقروء بتاريخ 2012/09/29.

⁴ - هاني عرموش، التدخين أو الصحة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. 1 سنة 2005، ص. 14 وما بعدها.

ويُذكر أنه من أدخل التبغ إلى تركيا - الدولة العثمانية - آنذاك سنة 1605 كان تاجرا انجليزيا، وفي نفس الفترة أدخلها يهودي يمارس الطب إلى المغرب العربي، أما إنجلترا فقد وصل إليها التبغ مباشرة من مستعمراتها في أمريكا الشمالية⁽¹⁾.

وهكذا انتشر التبغ في العالم كله ونال إعجاب الكثير من البشر- بدعوى المتعة واللذة والنشوة، فسيطر التدخين على إرادة الأفراد رجالا ونساء، كبارا وصغارا، حكاما ومحكومين، أغنياء وفقراء، غير أن هذا السلوك أضحى وباء قاتلا في الوقت الراهن نظرا لآثاره السلبية على النفس والصحة والمال والبيئة والمجتمع، وقبل التطرق لذلك، يجدر بنا التعرف على أنواع التدخين.

الفرع الثاني: أنواع التدخين.

خلال ممارسة عملية التدخين ينبعث دخان ناتج عن احتراق التبغ، ورغم اختلاف المصطلحات الدالة على استنشاق الإنسان للدخان؛ فإن المعاني واحدة، إذ يُقسّم المختصون التدخين إلى نوعين؛ تدخين إيجابي وآخر سلبي. أما التدخين الإيجابي؛ فهو ذلك التيار الأساسي الذي يستنشقه المدخن بصفة مباشرة من كمية الدخان، والذي يحتوي على مواد احترقت بسرعة وبوجود لهب ودرجة حرارة مرتفعة، لذلك تكون هذه المواد قليلة التركيز نسبيا. وأما التدخين السلبي؛ فهو عبارة عن تيار جانبي ينتشر في الهواء المحيط بالشخص المدخن؛ نتيجة احتراق بطيء للدخان ودون وجود لهب وبدرجة حرارة منخفضة، لذلك تكون المواد السامة الناتجة عالية التركيز، وضررها أكثر شدة، فكل من يشارك ويجاور شخصا مدخنا يستنشق رغما عنه هذا الدخان المنتج والمولد من قبل المدخن، بمعنى أن التدخين السلبي يكون في حالة البقاء بصفة غير إرادية أمام دخان الآخرين⁽²⁾. وقد ستماه البعض بالتدخين الإيجابي⁽³⁾، نظرا لاستنشاق غير المدخنين لدخان السجائر بصفة لا إرادية.

يُفهم من ذلك، أن التدخين لا يضر فقط بالمدخن بل أيضا بمن حوله من غير المدخنين، وأن الإنسان ليس بالضرورة أن يكون مدخنا حتى يواجه مخاطر التدخين، إذ بمجرد وجوده بقرب وبجوار أحد المدخنين، واستنشاقه للدخان يصبح مدخنا سلبيا أو مدخنا غير مباشر، وبالتالي فإن تفادي

¹ - هاني عرموش، المرجع السابق، ص. 16.

² - Y. Bouafia, Dans la collection " l'Hygiène de vie, Règles et Astuces ", Tabac, Alcool ... et Dépendances, Leurs méfaits sur la santé, Comment y renoncer, Le cannabis, le danger qu'il représente, Impressions d'Art, éd. 2005, Alger, Algérie, P 21.

³ - فؤاد الفاطمي، المرجع السابق، ص. 06.

الأماكن المدخن فيها من بين أنجع الحلول للأشخاص غير المدخنين لكي يتجنبوا التدخين السلبي أو الثانوي⁽¹⁾.

و بعملية حسابية، نجد أن الصبي يأخذ نسبة 20% من سيجارة واحدة مدخنة في نفس الغرفة التي يدخن فيها شخص آخر راشد، وإذا كان هذا المدخن الراشد يدخن سيجارتين في اليوم بحضور الصبي؛ فإن هذا الأخير سيدخن بصفة سلبية ثلاث سيجارات أسبوعيا، ونصف علبة شهريا⁽²⁾. وهو الأمر الذي يجب التنبيه إليه خاصة إذا تطابق الأمر بالنسبة للفئة العمرية الصغرى باعتبار أن التدخين السلبي له آثار صحية وخيمة أشد من التدخين في حد ذاته.

المطلب الثاني: الآثار السلبية للتدخين.

في ظل انتشار التدخين كعادة سيئة بين الأفراد والمجتمعات بسبب التقليد والدعاية والترويج له واللامبالاة بأضراره، وبدافع الفراغ وتحقيق المتعة وبحجة عدم قدرة إرادة المدمن على الإقلاع عن هذه العادة، أضحت وباء قاتلا ومشكلة عالمية تُؤزق أغلب المجتمعات والحكومات، لما لها من آثار سلبية خطيرة تشمل الجانب الصحي، والنفسي، والاقتصادي، والبيئي الاجتماعي، تنطرق لذلك في فرعين.

الفرع الأول: الآثار السلبية الصحية والنفسية للتدخين.

يحتوي الدخان من حيث تركيبته الكيميائية على حوالي 4000 نوع من الغازات السامة والمواد العالقة منها أكثر من خمسين (50) مادة مسرطنة، وأهمها إطلاقا من حيث الخطورة يذكر ويركز المختصون على ثلاثة وهي؛ **أول أكسيد الكربون**، هذا الغاز السام الذي يقوم بتسميم نسبة خمسة عشرة %15 من هيموغلوبين الدم، مما يُنقص من فعالية نقل الأكسجين فيؤثر على الرئة بإضعاف قدراتها التنفسية، بتعذر استنشاق كمية الأكسجين والتقاطها من طرف الكريات الحمراء⁽³⁾، وكذلك **النيكوتين**؛ الذي هو عبارة عن مادة كيميائية مُسببة للإدمان بدخولها الرئتين واحتفاظ المدخن بنسبة معينة منها في دمه؛ مما يؤثر على الجهازين الدوري والعصبي، وأيضا **القطران**؛ الذي يعتبر مزيجا من المواد الهيدروكربونية تتحول إلى مادة لاصقة داخل الرئتين تتسبب في السرطان.

لقد أثبتت الدراسات الطبية؛ أن هذه المواد السامة الناتجة عن ممارسة التدخين أو مرافقة المدخن؛ لها آثار صحية سلبية على الإنسان من الناحية الجسمية والنفسية فتلحق أضرارا بمختلف

¹ - عمار الخلفي، أيها المدخن، عد إلى رشك قبل وداع رمضان، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.nibraschabab.com، مؤرخ في 2009/9/17، ص.01، ملحوظ ومقروء بتاريخ: 2012/09/19.

² - Y. Bouafia, op. cit. P. 21.

³ - Y. Bouafia, op. cit. P 27.

الأجهزة العضوية للجسم، نستعرض بعضها؛ فعلى مستوى الجهاز التنفسي؛ توصل الطب إلى أن التدخين السلبي يمكن أن يُسبب حوالي خمسة وعشرين (25) مرضاً خطيراً. وأن التبغ هو المسؤول الأول عن العديد من أنواع السرطانات التي تصيب الفم واللسان والحنجرة والأنف والرئة⁽¹⁾. كما أن أول دراسة أثبتت خطر التدخين السلبي على الجهاز التنفسي كانت بمدينة هيراياما (Hirayama) باليابان سنة 1981، وقد تعلقّت بمحادثة اكتشاف انتشار سرطان الرئة عند النساء اليابانيات غير المدخنات المتزوجات بالرجال مدخنين⁽²⁾. ويشير البعض إلى أنّ الطب؛ لا يمكن له أن يدرأ سرطان الرئة أو يعالجه، إذ أن نسبة أربعة أخماس (5/4) من المرض بهذا الداء لا يُشفون؛ لأنّ تشخيص المرض عادة لا يكون إلا بعد أن ينتشر السرطان خارج الرئة، وليس هناك إلا احتمال خمسة 5% من أمل شفاء وحياة المعالج أكثر من خمس (05) سنوات⁽³⁾. أما على مستوى الجهاز العصبي؛ فقد أثبت الطب الحديث أنّ التدخين يُتلف خلايا المخ بسبب نقص كفاءة الدم في إيصال الأوكسجين، مما يؤدي إلى حدوث صداع مفاجئ واضطراب في الذاكرة، وبروز نوبات تهيج، وأزمات تهاجم الدماغ. وأما على مستوى الجهاز الدوري؛ فيسبب التدخين اضطراباً في ضغط الدم وضعفاً في الدورة الدموية بالمخ، ويؤثر على القلب والأوعية والشرايين عن طريق تكاثر خلايا النسيج الليفي في الجدران الداخلية للشرايين (Athérosclérose) وسداد على مستوى نسيج القلب العضلي (Infarctus du myocarde) والتهاب عروق القلب (Cardio-vasculaire)⁽⁴⁾. وبالنسبة للجهاز الهضمي؛ فإن التدخين يتسبب في إحداث قرحة على مستوى المعدة والإثني عشر، واضطرابات في الكبد وفقدان الشهية مما يؤدي إلى سوء التغذية وفقر الدم، وقد يصاب المرء والبلعوم والمعدة بالسرطان. وبالنسبة للجهاز البولي والتناسلي؛ فإن التدخين يؤثر بإتلاف وظيفة الكلى والإصابة بالسرطان على مستوى المثانة والحجر، وغنق الرّحم عند المرأة، وقد يكون سبباً في العقم عند الرجل أو المرأة (Infertilité) وكذلك الضعف الجنسي (Impuissance)⁽⁵⁾. كما يؤكد المختصون أن أول سبب للموت في العالم كله يمكن تجنبه هو التدخين، إذ أن إحصاء مختلف المنظمات لمخاطره تُبين بقوة الارتفاع الرهيب لعدد الوفيات بسبب هذا

¹ - Y. Bouafia, op. cit. P. 24 -26 -28.

² - S. NAFTI, TABAC : Des méfaites au sevrage, Médecine plus (+), Actualités médicales/ Dossiers/ Culture..., Imp. Roto, Algérie, Alger, Algérie, Revue Mensuel, n°: 14, 2009, p. 39.

³ - مقال (بدون ذكر صاحبه) منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.sehha.com>، مؤرخ في 2007/11/09، ص. 01، تمت زيارته بتاريخ 2012/09/27.

⁴ - Y. Bouafia, op. cit. P.28.

⁵ - Y. Bouafia, op. cit. P. 28.

الوباء الفتاك، الذي يقتل شخصا واحد في مكان ما من العالم كل ست ثواني ونصف، سواء كان تدخيننا مباشرا أو غير مباشر عبر مرافقة المدخنين⁽¹⁾. وأن من بين كل ثلاثة أشخاص في العالم اليوم نجد واحدا منهم يدخن، وهو ما يمثل 1.2 مليار شخص، والرقم مرشح ليتجاوز 1.6 مليار شخص بحلول سنة 2025، وإذا كان التدخين حسب دراسة وإحصاء سنة 1998 يتسبب في وفاة ما يقارب 04 ملايين شخص سنويا فإنه سيقضي على أكثر من 08 ملايين شخص سنة 2020⁽²⁾. في حين أنّ المنظمة العالمية للصحة تشير إلى أكثر من 03 ملايين شخص كضحايا التدخين قبل سن الـ65 كل سنة، والعدد مرشح لبلوغ 10 ملايين شخص بحلول سنة 2030، في حالة استمرار الوضع على ما هو عليه، وفي الجزائر يفتك التدخين بحياة 15.000 شخص سنويا، 21% منها نساء أي ما يعادل 03 مرات عدد وفيات حوادث المرور⁽³⁾، و حسب نفس المصدر فإن مدخنا واحد من اثنين يموت بأمراض ذات صلة مباشرة وغير مباشرة بالتدخين، لذلك فقد دعت منظمة الصحة العالمية (O.M.S.) بمناسبة إحياء اليوم العالمي للتدخين المصادف ليوم 31 مايو 2008، إلى حظر تام ونهائي على إعلانات وأشهار السجائر، حيث ثبت أن هناك علاقة وطيدة بين الإعلان الإشهاري والترويج لمنتجات التبغ والسجائر وبداية التدخين⁽⁴⁾.

من جهة أخرى يعاني الإنسان المدخن من مشكل التبعية إزاء التبغ (La dépendance vis-à-vis du tabac)، التي تتخذ وجهان، فالوجه الأول يسمى التبعية الجسدية (La dépendance physique)، والتي تعني أن الجسم يصبح أسير النيكوتين بعدم القدرة عن الاستغناء عنه، فكلمة قلّت نسبته في الدم أحس المدخن بشيء ينقصه وألم في الرأس، وقلق واضطراب و خفقان واختلاج وارتعاش وأرق، أما الوجه الثاني فيسمى التبعية النفسية (La dépendance psychologique)، وهي أنّ الإنسان المدخن لا يكون متزنا ذهنيا ونفسيا، عن طريق الإحساس بالحاجة الملحة للتدخين؛ بسبب

¹ - عبد الدائم الكحيل، التدخين وباء القرن الواحد والعشرين، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.ashefaa.com> ، مؤرخ في: 2010/02/09، ملحوظ ومقروء بتاريخ 2012/09/19.

² - Abdelhafid OSSOUKINE, L'ABCdaire du droit de la santé et de la déontologie médicale, Agence Nationale pour le Développement de la Recherche en Santé, Laboratoire de droit et des nouvelles technologie, Faculté de droit et des sciences politiques, Université d'Oran, Algérie, éd. 2006, P.395.

³ - Abdelhafid OSSOUKINE, op. cit. P. 395, et Y. Bouafia, op. cit, p.30

⁴ - يُراجع في ذلك الموقع الإلكتروني للمنظمة العالمية للصحة على الشبكة الدولية للمعلومات: <http://www.who.int/tobacco/wntd/2012/announcement/ar/index/html/>، الذي تمت زيارته بتاريخ: 01 أكتوبر 2012.

تعلقه بالنيكوتين والرغبة الشديدة في الخروج من حالة الكآبة والملل والكرهية التي تنتابه⁽¹⁾، خاصة المراهق الذي يرى في التدخين شيء إيجابي بالنسبة لشخصيته، ومظهر تعبير جذاب، ووسيلة تهدئة للتوتر، وإحساس بالنشوة والسعادة⁽²⁾. فالتدخين يستعبد إرادة الإنسان ولا يستطيع التحرر من سلطانه وذلك هو عين الضرر التقسي. كما يمتد أثر التدخين إلى النساء الحوامل والمرضعات والأطفال، والمراهقين الممارسين له في مراحل مبكرة بشكل مطرد، إضافة إلى إضعافه لجهاز المناعة عند الإنسان ككل.

الفرع الثاني: الآثار السلبية الاقتصادية والبيئية للتدخين.

يمثل التدخين مشكلة اقتصادية وبيئية اجتماعية حقيقية للفرد والمجتمع، والدولة على حد سواء، إذ يمكن تقدير الأضرار التي يسببها من خلال تحيّل الأموال الطائلة التي تُرصد وتُصرف عليه، وكذا الأموال التي تُصرف على العلاج من الأمراض التي يُلحقها بالطاقات البشرية كضحايا لهذه العادة المقيتة⁽³⁾، فالتبغ هدر للمال الخاص والعام؛ لأنه يُقتطع من دخل الفرد ولأنه عبء على ميزانية الدولة. بالنسبة للفرد نجد أنه يصرف على التدخين ما يمكن أن يصرفه على التعليم أو المأكل أو الملابس أو العلاج، وبعملية حسابية بسيطة نفرض أن شخصا يدخن في اليوم علبة واحدة فقط من السجارة بقيمة 120 دج، فإنه سيصرف 3600 دج شهريا، وبالتالي 43200 دج سنويا، فالأولى أن يوفر هذه المبالغ ويوجهها لمصاريف صحية أو تربوية، أو يخصصها لميزانية تغذية أسرته، ولتكن ذات مصدر بروتيني بدلا من تغذية جسمه وغيره بهذا السم القاتل.

أما أنه يؤثر على الاقتصاديات الوطنية للدول، فذلك يتضح على سبيل المثال، من خلال إحدى الدراسات التي أُجريت في منتصف سنة 1990 بالصين؛ إذ أن التكاليف المباشرة وغير المباشرة للتدخين، قد بلغت 6.5 مليار دولار في السنة⁽⁴⁾. وتشير بعض الأرقام في الجزائر إلى أن تكاليف علاج مريض واحد يعاني داء سرطان الرئة، تُكلف خزينة الدولة حوالي 180 مليون سنتيم، وهذا بغض النظر عن العلاج الذي يخضع له بعد خروجه من المستشفى و في ذلك عبء كبير على نظام الرعاية

¹ - الحسين بن شيخ آث ملوفا، المخدرات والمؤثرات العقلية، دراسة قانونية تفسيرية، دار هومة، الجزائر، ط. سنة 2010، ص. 25.

² - Y. Bouafia, op. cit. P.31.

³ - عبد الحميد الشاعر وآخرون، الصحة والسلامة العامة، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط. 01، سنة 2005، ص. 269-270.

⁴ - فؤاد الفاطمي، المرجع السابق، ص. 09.

الصحية للبلاد⁽¹⁾. وأكبر نسبة للمدخنين مقارنة بعدد المدخنين توجد في تركيا، بنسبة تقدر بحوالي أكثر من 67 %، والمملكة العربية السعودية تشتري ما قيمته 15 مليار سيجارة سنويا بتكلفة قدرها 08 ملايين دولار، أما مصر فإنها تستهلك 80 مليار سيجارة سنويا، وبالتالي فإن الدول العربية لوحدها تستورد قرابة 200 مليار سيجارة سنويا، أغلبها من الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما ينبج عنه أن الدول العربية تنفق على التدخين أكثر مما تنفقه على التعليم والصحة².

ويستهلك الجزائريون واحد مليار و400 مليون علبة سجائر سنويا، مما يمثل مرتين مما يُستهلك في المغرب ومرتين ونصف مما يُستهلك في تونس، وأوضحت الدراسات التي أُعدت حول استهلاك السجائر في الجزائر، أن الشريحة الأكثر استهلاكاً لهذه المادة السامة تتراوح أعمارها بين 18 إلى 40 سنة³.

أما من الناحية البيئية الاجتماعية، فإن دخان التبغ من أكثر أسباب تلوث البيئة لاحتوائه على ذرات وغازات سامة، والإدمان على التبغ أو مادة النيكوتين، يضر بالمجتمع ككل ابتداء من المدخن ومن حوله، فالتدخين يتسبب في تلوث البيئة عموماً، والبيئة المغلقة التي يدخل فيها المدخن خصوصاً، سواء كانت مطعماً أو مقهى، غرفة أو مكتبا، قاعة أو مدرجا، حافلة أو سيارة، إضافة إلى الرائحة الكريهة المنبعثة من المدخن والتي تعلق به وبثيابه، ولا مجال للمقارنة بين الهواء الطبيعي النقي والهواء الملوث المركز بغازات سامة. وفي هذا الشأن أكدت الأبحاث الطبية أن الجلوس والبقاء مدة أربع ساعات في غرفة المدخنين المغلقة يُعادل استهلاك وتعاطي عشرة سجائر كاملة⁽⁴⁾.

كما أن مخلفات التدخين، من غُلب السجائر الفارغة وأعقاب السجائر والكبريت، تساهم بشكل كبير في تلوث البيئة التي يعيش فيها الإنسان، ويعود سبب الكثير من الحرائق التي تحدث في الأماكن العمومية، والفنادق والمطاعم والنوادي والحدايق والغابات في مختلف أرجاء العالم، إلى المواد المستخدمة في التدخين، ويعد من بين أسباب الحرائق المنزلية، ويزيد من القادورات ويرفع تكاليف التهوية والصيانة، ومن أجل معالجة أوراق التبغ يحتاج الأمر إلى كمية كبيرة من الأخشاب، بحيث تقدر الكمية اللازمة لمعالجة واحد كغ من أوراق التبغ بنـ من مائة إلى مائة وثلاثون كغ من الخشب، وهذا يعني حرق حوالي

¹ - جريدة الخبر اليومية، الجزائر، ع. 5560، المؤرخ في: 2009/02/25، ص. 19.

² - عبد الباق الكحيل، أضرار التدخين ملف شامل، مقال متاح على الموقع الإلكتروني:

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/>، الذي تمت زيارته في: 01 أكتوبر 2012.

³ - جريدة الخبر اليومية، الجزائر، ع. 6479، المؤرخ في: 18 سبتمبر 2011، ص. 11.

⁴ - فؤاد الفاطمي، المرجع السابق، ص. 12.

خمسین شجرة، متوسط عمر كل منها خمسة عشر سنة فقط، وهذا ما يساهم في إتلاف المساحات الغابية¹. والتلوث بصفة عامة، يشكل اعتداء على حق كل شخص في بيئة نظيفة مما يستدعي تنبيه الإنسان لبعض مخاطر سلوكه²، وللإنسان أن يعيش في بيئة صحية نظيفة، وقد أضحى ذلك، حقا يئس ويسمو على غرار سائر الحقوق الطبيعية الأساسية³.

المبحث الثاني: موقف الشريعة الإسلامية من التدخين ودور القوانين الوضعية في الحد منه

بعد تحديد مفهوم التدخين والتطرق لمختلف تأثيراته السلبية، نبحت عن موقف الشريعة الإسلامية من التدخين، ثم دور ومدى فعالية التشريعات الوضعية في الحد من هذه الآفة في المطلبين المواليين.

المطلب الأول: تحريم الشريعة الإسلامية لآفة التدخين.

لقد اختلف علماء الشريعة الإسلامية حول حكم التدخين واتخاذ موقف بين الإباحة والكرهية والتحریم، حيث نجد أن حكم الإسلام على الشيء بالحرمة أو الكراهة، لا يتوقف على وجود نص بذلك الشيء فقط، بل لعلل الأحكام وقواعد التشريع العامة قيمتها في معرفة الأحكام، وبهذه العلة وتلك القواعد كان الإسلام ذا أهلية في إعطاء كل شيء يستحدثه الناس حكمه من حلال وحرمة، وذلك عن طريق معرفة الخصائص والآثار الغالبة، فحيث كان الخطر وحيث خلص التمتع أو غلب كانت الإباحة، وإذا استوى التمتع والضرر كانت الوقاية خيرا من العلاج⁴، وبعد أن أثبت الطب الحديث أضرار التدخين، أجمع أغلب فقهاء الشريعة الإسلامية على أنه حرام، عن طريق الاستقراء والاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية وبعض القواعد الشرعية.

الفرع الأول: دليل تحريم التدخين من القرآن الكريم.

من أدلة تحريم التدخين قول الله تعالى: (...وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)⁽⁵⁾، ووجه الدلالة من هذه الآية، هو أن كل البحوث والتقارير الطبية قد أثبتت أن التدخين يسبب أمراضا مستعصية، تؤول بأصحابها إلى الموت مثل السرطان، وقال الله تعالى: (...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

¹ - يُراجع في ذلك: الموقع الإلكتروني: <http://www.envirenement.gov.ps/>، تمت زيارته في 01 أكتوبر 2012.

² - أحمد محمود سعد، استقراء لقواعد المسؤولية المدنية في منازعات التلوث البيئي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط. 01، سنة: 2007، ص. 42.

³ - خالد مصطفى فهمي، الجوانب القانونية لحماية البيئة من التلوث في ضوء التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية، دراسة مقارنة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، ط. 2011، ص: 06.

⁴ - مصطفى أكرور، آفة التدخين ومخاطر المخدرات، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط. سنة 2011، ص. 17، 18.

⁵ - سورة النساء. الآية. 29.

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ⁽¹⁾، فوجه الدلالة من هذه الآية، أنه إذا كان الله عز وجل قد نهى عن الإسراف في المباحات وهو مُجاوزة الحدِّ فيها؛ فإن النهي عن صرف المال في أمر لا ينفع يكون من باب أولى، وصرف المال في شراء الدخان إضاعة للمال، والعاقل لا بد أن يحافظ على بدنه وماله⁽²⁾.

وقد قال الله تعالى أيضا في آية أخرى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)⁽³⁾، فهي تدل على النهي عن كل ما يؤدي إلى الضرر، والدخان من الضرر والهلاك، كما أن الدخان من جملة الفواحش المنهي عنها، وإففاق المال في معصية الله وفي غير حق، ينطبق تماما على إففاق المال في التدخين⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: دليل تحريم التدخين من السنة النبوية الشريفة.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: " نهى الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- عن كل مسكر ومفتّر"، فالحديث ينهى عن المسكر والمفتّر، والدخان مفتّر وغير مسكر، وإذا كان التبغ لا يُحدث سكرا ولا يفسد عقلا فإن أضراره كثيرة، وعليه، فإنّ الدخان محرّم بهذا النص لاندرجه تحت المفترات، والإسلام يدفع المضار والمفاسد والمؤذيات سواء كانت تضر- بالعقل أو الدين أو النفس أو المال أو التسل، ويدخل في ذلك تحريم جميع أنواع المسكرات والمخدرات والمفترات تحت أي اسم كان⁽⁵⁾. وعن أنس بن حذيفة أنّ النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- قال: " ألا إن كل مسكر حرام وكل مخدر حرام، وما أسكر كثيره حرام قليله وما خمر العقل فهو حرام"، فالمتقصد بالمسكر هو الخمر والحشيش، أما المخدّر هو ما خدّر العضو أي تعب وارتخى وصار لا يُطيق الحركة، والخبيث ما يطلق على الشيء الرديء المستكره طعمه وريحه، وكل طيب طاهر نافع حلال، وكل خبيث قدر حرام⁽⁶⁾.

¹ - سورة الأعراف. الآية 31.

² - عائدة رمال، موسوعة طب الأسرة، دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. 01، 2005/2004، ص. 91.

³ - سورة البقرة الآية. 195.

⁴ - طارق الطواري، حكم الدين في عادة التدخين، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الأول لمكافحة التدخين المنعقد بالكويت في 26 و 27 أبريل 1998، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.islamport.com>، (الموسوعة الشاملة)، ص. 04، ملحوظ

ومقروء بتاريخ: 2012/09/18.

⁵ - علي محي الدين القرة داغي وعلي يوسف الحمدي، فقه القضايا الطبية المعاصرة، دراسة فقهية طبية مقارنة مزودة بقرارات الجامع الفقهية والندوات العلمية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط. 03، سنة 2008، ص. 170-171.

⁶ - طارق الطواري، المرجع السابق، ص. 05.

ولاشك أن الدخان من الأشياء الضارة غير النافعة، فالعلة هنا هي الضرر وإتلاف المال في شراء الدخان⁽¹⁾، ومعلوم أن الإنسان يوم القيامة يُسأل عن ماله فيم أفقهه، وعن جسمه فيم أبلاه. وتعتبر ممارسة التدخين عادة سيئة مسببة للأضرار والأمراض القاتلة ومنهي عنها بتجنبها قدر المستطاع، وقد أوصت الستة النبوية الشريفة وأوجب على المسلم بواجبات ووصايا، إذا طبقتها يكون قد انتج برنامجاً صحياً للوقاية من الأمراض الجسمية والعصبية والنفسية، ووضع حوله سياجاً من الأمن ضد الأمراض⁽²⁾.

وحكم الإسلام على الشيء لا يتوقف على وجود نص خاص بذلك الشيء؛ بل يكفي وجود أحكام عامة وضوابط وقواعد يدخل تحتها ومنها ذلك الشيء، وهو ما ينطبق على مسألة تحريم التدخين.

الفرع الثالث: دليل تحريم التدخين من خلال بعض القواعد الشرعية.

هناك الكثير من القواعد الشرعية التي تم الاستناد عليها في تحريم التدخين، منها قاعدة "لا ضرر ولا ضرار"⁽³⁾، وقد تبين أن التدخين ضرر مؤكد للمدخن ولغير المدخن، وقد تفرعت عن هذه القاعدة، "قاعدة الضرر يزال"، وقاعدة: "الضرر يدفع بقدر الإمكان"، كما أن لهذه القاعدة دور كبير في تقويم معاملات الفرد والجماعة.

إضافة إلى قاعدة "درأ المفسد أولى من جلب المصالح"، فالمراد هنا أنه إذا تعارضت مفسدة ومصالحة قدّم دفع المفسدة على جلب المصلحة؛ لأنّ اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتناءه بالمأمورات⁽⁴⁾، فمن خلال هذه القاعدة يتضح أن تعاطي الدخان هو مفسدة عظيمة للصحة والمال والحاق وإلحاق الضرر بالغير.

¹ - طارق الطواري، المرجع السابق، ص. 05.

² - عبد الباسط محمد السيد، الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة، شركة ألفا للنشر- والإنتاج الفني، مصر، ط. 03، سنة 2009، ص. 175-190.

³ - تعتبر قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الأصل حديثاً نبوياً شريفاً أخرجه الإمام مالك في الموطأ، ومعناها؛ أنه ليس للرجل أن ييأذي أخاه بالضرر، ولا أن يقابله به كعقوبة له، وقد أشار إلى ذلك عبد الفتاح تقيّة، تفسير النصوص والقواعد الفقهية، دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، مطبعة الكهنة، الدويرة، الجزائر، سنة 1998، ولزيد من التفاصيل حول قاعدة لا ضرر ولا ضرار، يراجع: أسامة محمود قناعة، القاعدة الكلية لا ضرر ولا ضرار في الفقه الإسلامي، دار النهج للدراسات والنشر- والتوزيع، حلب، سوريا، ط. 01، سنة: 2009، ص. 106 وما بعدها.

⁴ - عبد الفتاح تقيّة، المرجع السابق، ص. 246، ويراجع كذلك، طارق الطواري، المرجع السابق، ص. 06.

ومعروف أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحفظ ولتحمي مصالح الأشخاص وتدرأ المفاسد والمضار، فكلما كانت المصلحة أقوى غلب جانب الإباحة، وكلما كانت المفسدة أكثر غلب جانب التحريم، وعلى هذا الأساس سار التشريع الإسلامي على تحقيق أهم مقصد من مقاصده؛ ألا وهو حفظ الضرورات أو الكليات الخمس، والتي منها النفس والعقل والمال التي يؤذيها تعاطي التدخين. وعليه وجبت محافظة الإنسان على صحته وصحة غيره و ألا يعرضها إلى ما يضعفها أو ما يهلكها أو يلحق بهما أي ضرر كان.

وقد صدرت الكثير من الفتاوى المحترمة للتدخين في العالم الإسلامي والعربي؛ نذكر منها على سبيل المثال: الفتوى الصادرة عن العلماء المسلمين المجتمعين في مؤتمر مكافحة المسكرات والمخدرات بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية سنة 1982، والذي أجمع فيها المؤتمرون على تحريم تعاطي التبغ بكل أشكاله وأكدوا أن تدخين السجائر هو أحد تلك الأشكال⁽¹⁾.

وكذا صدور قرار عن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث (ECFR)، حيث أفتى بناء على اعتبار مقاصد الشرع وأصوله بتحريم تعاطيه والمتاجرة به².

المطلب الثاني: مكافحة ومنع القوانين الوضعية للتدخين في الأماكن العمومية.

تنامت فكرة معارضة تعاطي التدخين نظرا لمخاطره الكبيرة وأخذت تظهر في شكل آراء ومواقف، ومع انتشار هذه الآفة في القرن العشرين وارتفاع عدد ضحاياها مرضا وموتاً؛ ازداد تصدّي العلماء والفقهاء والأطباء والسلطة العامة مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين لهذه الآفة؛ والإحاح على مكافحة التبغ وإصدار تشريعات تمنع التدخين في الأماكن العمومية، وهو ما نتطرق له من خلال فرعين اثنين.

الفرع الأول: مكافحة القانون الدولي للتبغ والتدخين.

تحرك المجتمع الدولي في اتجاه التصدي لآفة التدخين ذات العواقب الوخيمة على الصحة العامة والمجتمع والبيئة والاقتصاد، فبرزت الكثير من جهود الدول والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية وجمعيات المجتمع المدني؛ تجسدت في شكل نشاطات ودعوات و تصريحات، نذكر منها؛ تصريح الجمعية

¹ - هاني عرموش، المرجع السابق، ص. 149 وللإطلاع على المزيد من الفتاوى يراجع نفس المرجع، ص. 155، وما بعدها، وكذلك جريدة الخبر اليومية في الجزائر، أبو عبد السلام، فتاوى رمضانية، العدد المؤرخ في: 2010/08/28، ص. 19.

² - بناء على القرار رقم: 14/01 حول حكم التدخين والمتاجرة بالتبغ، الصادر عن المجلس بمناسبة انعقاد دورته العادية الرابعة عشر- بدبلن بجمهورية أيرلندا، في الفترة الممتدة من 23 إلى 27 فبراير، 2005 ولتفاصيل أكثر يراجع الموقع الرسمي لهذا المجلس: <http://www.e-cfr.org>، والذي تمت زيارته في: 05 أكتوبر 2012.

الطبية العالمية حول المخاطر الصحية للمواد المختلفة التي يتربك منها التبغ، والمصادق عليه من طرف القمة الأربعين المنعقدة في فينا بالنمسا 1988، وكذلك تصريح نفس الجمعية حول صنع التبغ واستيراده وتصديره وبيعه وإشهاره؛ والذي صودق عليه في القمة الثانية والأربعين، المنعقدة بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية (U.S.A.) في أكتوبر 1990⁽¹⁾.

إضافة إلى العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية التي دعت إلى ضرورة إيجاد آليات وقواعد قانونية تحد من انتشار هذا الوباء الفتاك، وأهم مصدر تشريعي دولي في هذا المجال؛ تمثل في تنويع جهود المجتمع الدولي بإصدار اتفاقية دولية لمكافحة التبغ والتدخين، وهي الاتفاقية الإطار بشأن مكافحة التبغ الصادرة عن منظمة الصحة العالمية (O.M.S.) التابعة لهيئة الأمم المتحدة والمعتمدة بحجيف بتاريخ 21 مايو سنة 2003⁽²⁾.

وهي الاتفاقية التي أحاطت بكل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والقانونية للحد من انتشار التبغ، وهي المرجع الأساسي للدول التي صادقت عليها لتستلهم منها المبادئ العامة لتطبيق التبغ والتدخين.

الفرع الثاني: منع القوانين الوطنية للتدخين في الأماكن العمومية.

بادرت الكثير من الدول إلى سن تشريعات وطنية داخلية للحد من الآثار السلبية لآفة التدخين، نذكر منها على سبيل المثال؛ **المشروع الفرنسي** الذي أصدر مرسوم رقم: 2004-949 المؤرخ في: 2004/09/06 المتعلق بمنع بيع التبغ إلى القصر أقل من 16 سنة، والمرسوم رقم: 2006-1386 المؤرخ في: 2006/11/15 المتعلق بمنع التدخين في الأماكن المخصصة للاستعمال الجماعي، وتبعه المرسوم رقم: 2007-1133 المؤرخ في 2007/07/24 المتعلق بالمكافحة ضد التبغ والمخدرات⁽³⁾.

أما **المشروع المصري** فقد أصدر القانون رقم: 52 لسنة 1981 القاضي بمنع التدخين وحظره داخل الأماكن العامة ووسائل المواصلات، والقانون رقم: 04-2004 الذي يقضي بمنع التدخين في الأماكن العامة، وتغريم المدخنين داخل وسائل المواصلات العامة، وكذا القانون رقم 137 لسنة 1981 والذي يقضي بمعاينة المدخنين أثناء العمل⁽⁴⁾.

¹ - Abdelhafid OSSOUKINE, op. cit. P.395.

² - Abdelhafid OSSOUKINE, op. cit. P.395.

³ - Code de la santé publique (Française), 22^{ème} éd., 2008, Dalloz, Paris, France, p. 1376- 1380.

⁴ - قوانين مكافحة التدخين في مصر، باستخدام الموقع الإلكتروني: <http://www.antismoke.org> ، صفحة مؤرخة في 2006/4/02، تمت زيارتها بتاريخ: 2012/09/15.

كما أصدر المشروع السوري مرسوما تشريعيا رقم 13 لسنة 1996 بشأن منع الإعلان عن التبغ والدعاية له، ثم المرسوم رقم: 59- 2004 المتضمن الانضمام للاتفاقية الإطارية لمنظمة الصحة العالمية الخاصة بمكافحة التبغ، والقرار الوزاري رقم 60 لعام 2008 القاضي بمنع بيع منتجات التبغ بكافة أشكالها بواسطة أشخاص تقل أعمارهم عن 19 سنة، ثم صدور المرسوم التشريعي رقم 62- 2009 القاضي بمنع التدخين وبيع منتجات التبغ وتقديمها في الأماكن العامة والنافذ في 2010/04/21⁽¹⁾.

أما المشروع الجزائري فقد منع تعاطي التبغ في الأماكن العمومية، وفسح المجال للتنظيم لكي يضطلع بتحديد قائمة هذه الأماكن، كما فرض على الجهات المعنية محاربة تعاطي التبغ والكحول، عن طريق التربية الصحية والإعلام، ومنع كل عملية إشهار لأنواع التبغ والكحول، وأخضع عملية بيع كل أنواع التبغ لضرورة تثبيت لصيقة على غلب السجائر تحمل عبارة (التدخين مُضر - بالصحة)، حيث أفرد أحكاما تتعلق بالتبغ في الفصل الرابع المعنون بـ: الوقاية من الأمراض غير المعدية المتفشسية والآفات الاجتماعية ومكافحتها، وذلك من خلال المواد من 63 إلى 66 من قانون حماية وترقية الصحة². كما أقر سنة 1996 قانون منع بيع الدخان للأطفال أقل من 18 سنة، واعتمد قانونا جديدا يمنع التدخين في الأماكن العمومية سنة 2000، وتبعه بالمرسوم التنفيذي رقم 01- 285 المؤرخ في 2001/09/24 المحدد للأماكن العمومية المنوعة من استعمال التدخين وكيفية تطبيق هذا المنع، ويوجد الكثير من التشريع الفرعي المانع للتدخين في بعض الأماكن العمومية مثل التعلية ما بين الوزارات رقم 02 المؤرخة في 2002/09/19 والمتعلقة بمكافحة التدخين في المحيط المدرسي⁽³⁾، وقد صادقت الجزائر على اتفاقية منظمة الصحة العالمية (O.M.S.) الإطارية بشأن مكافحة التبغ بجنيف في 2003/05/21، عن طريق المرسوم الرئاسي رقم 06- 120 المؤرخ في 2006/03/12⁽⁴⁾. وفي تقديرنا، أنه من السبل الفعالة لمكافحة التبغ، ضرورة اتخاذ

¹ - عبد الحميد العيسى، حول التدخين ومضاره، حلب، سوريا، باستخدام الموقع الإلكتروني: <http://www.damascusbar.org>، وقد تمت زيارته بتاريخ: 2012/09/14.

² قانون رقم: 05/85 المؤرخ في 16 فبراير 1985 يتعلق بحماية الصحة وترقيتها، ج. ر. ج. ج. ع. 08 المؤرخة في 17 فبراير 1985، المعدل والمتمم بالقانون رقم: 15/88 المؤرخ في 03 مايو 1988، ج. ر. ج. ج. ع. 18 المؤرخة في 04 مايو 1988، والقانون رقم: 17/90 المؤرخ في 31 يوليو 1990، جز. ر. ج. ج. ع. 35، المؤرخة في 15 أوت 1990، والقانون رقم: 09/98 المؤرخ في 19 أوت 1998، ج. ر. ج. ج. ع. 61، المؤرخة في 23 أوت 1998، والأمر رقم: 07/06 المؤرخ في 15 يوليو 2006، ج. ر. ج. ج. ع. 47، المؤرخة في 19 يوليو 2006، والقانون رقم: 13/08 المؤرخ في 20 يوليو 2008، ج. ر. ج. ج. ع. 44، المؤرخة في 03 أوت 2008، تجدر الإشارة إلى أن هناك تعديل أو إلغاء لهذا القانون، وإصدار لقانون جديد بدلا عنه في الأفق.

³ - Abdelhafid OSSOUKINE, op. cit, P. 396.

⁴ - ج. ر. للجمهورية الجزائرية، ع. 17، المؤرخة في 2006/03/19، ص. 03 - 17.

إجراءات ذات طابع قانوني واقتصادي، كإعادة النظر في التشريع الجبائي والرسم المفروض على التبغ بمختلف أنواعه، بحيث نجد أن الدول المتقدمة أصبحت تتجه إلى الزحف من نسبة الضريبة على كل أنواع السجائر، وبالتالي الزحف في أسعارها. ففي الجزائر مثلاً لا تتجاوز مستويات نسبة الضريبة 11 % عن كل علبة سيجارة، في حين أنها تصل في أوروبا إلى 62 %، وفي أمريكا حوالي 55 %¹.

ما يلاحظ، أن قوانين منع التدخين بصورة كاملة لم تشمل إلا حوالي 5,4 من سكان العالم حسب إحصائيات سنة 2008². ورغم هذه الترسنة من التشريعات المقارنة والوطنية المانعة للتدخين في الأماكن العمومية؛ إلا أن الواقع يكشف عدم فعاليتها بسبب عدم التقيد والالتزام بتطبيق القوانين من جهة، والنظر إليها نظرة بوليسية وليست حضارية من جهة أخرى.

فمنع التدخين في الأماكن العمومية؛ حقيقة أنه إجراء صحي عمومي ملائم لحماية صحة غير المدخنين، ويسمح في نفس الوقت لتنظيم حياة المدخنين أنفسهم، إذ أنه عند منع التدخين في مكان العمل؛ فإن ذلك يهدف إلى حماية صحة الأجراء المعرضين للتدخين السلبي مدة طويلة، خلال عملهم في المكاتب أو المطاعم أو وسائل النقل العمومي⁽³⁾. في حين؛ هناك من يرى أن هذا المنع تضيق للحرية الشخصية للمدخنين وتدخل في حياتهم الخاصة، لكننا نقول أن التدخين أصلاً هو مساس بحق غير المدخنين ولا يسر إطلاقاً بالحرية أو المصلحة الشخصية للمدخن؛ لأن المصلحة العامة تُقدّم على المصلحة الخاصة؛ والتدخين مفسدة وليس مصلحة. فالمدخن إذا كان لا يستطيع أن ينفذ نفسه بالتوقف عن التدخين، فالأولى ألا يضطر غيره، كما أنّ ممارسة أي حق من حقوق الإنسان يقتضي - منع إلحاق الضرر بالآخرين.

خاتمة:

إنّ التبغ مهما كانت طريقة تعاطيه، يعتبر من العادات السيئة والآفات المنتشرة في مختلف المجتمعات قديماً وحديثاً، وقد أضحت التدخين مشكلة عالمية تهدد الصحة العامة، فهو يترك أثره السلبي في شخصية المدخن وصحته؛ إذ يصبح أسير مواد سامة ومُسرطنة ومُعزّز لأمراض كثيرة قاتلة، ولا يقتصر-

¹ - مريم شرايطية، 500 شاب جزائري ينضمون إلى المدخنين سنوياً، مقال منشور بجريدة الخبر اليومية، الجزائر، ع. 6850، المؤرخ في 29 سبتمبر 2012، ص. 24.

² - يُراجع الموقع الإلكتروني: <http://www.who.int>، الذي تمت زيارته في: 01 أكتوبر 2012.

³ - S. NAFTI, op.cit. p. 39.

ضرره على المدخن بل يتعداه إلى الغير، وفي ذلك اعتداء صارخ على حقوق الإنسان وتجاوز لحدود الحرية الشخصية.

ويتسبب التدخين في إلحاق الأذى بالفرد والمجتمع والبيئة، والمال المنفق عليه هو قامة التبذير والإسراف، وهي أفعال منهي عنها شرعا، إذ نجد أن غالبية فقهاء الشريعة الإسلامية قد حرّموه لظاهر كتاب الله وستة رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم- والإجماع والقياس؛ لدخوله تحت نصوص عامة من الكتاب والسنة وقياسه على المسكرات والمفترات، والدين الإسلامي حريص على السعي إلى الطيبات وتجنب الخبائث، و حريص أيضا على نظافة وطهارة الإنسان كمخلوق مكترم بالعقل.

وهكذا سارت التشريعات الوضعية، فنجد أنّ أغلبها منعتة جُزئيا بعدم جواز التدخين في بعض الأماكن العمومية، وهي خطوة جريئة تستهدف حماية حق غير المدخنين، ولفت انتباه المدخنين إلى ضرورة التسلّح بالإرادة والافتناع بترك هذا السمّ والإقلاع عنه، وعدم ضحّته في الرئة والدم ونفثه إلى الغير، وبالتالي التقليل من عدد الوفيات والمرضى وتكاليف العلاج وترشيد ميزانية الفرد والدولة.

غير أنّه وأمام تفاقم هذا الوباء العالمي القاتل؛ تبقى هذه القوانين مع الأسف غير مطبقة كما ينبغي، وناقصة الفعالية، بالرغم من اقترانها بجهود التوعية والتحسيس بمخاطر التدخين، دون المستوى المطلوب واستغلال الإمكانيات المتاحة، وفي نظرنا أن عدم التزام الأفراد والجماعات بالقوانين هي مشكلة عويصة ذات بعد تربوي نفسي، وإرادي اجتماعي، ولا يتعلق الأمر بنقص الوعي بالمخاطر والآثار الوخيمة لهذه الآفة إلا بنسبة ضئيلة، وما أحوجنا إلى تنمية الدّوق العام و إرساءه بين الأفراد في المجتمع، والذي من بين أحد مظاهره احترام المدخن لغير المدخن.